



بين الطمة والحويش عنوان زاوية تلك الكتب فضلا عن قراءات وعروض لعديد الكتب والمجلات مثل المفتش العام والمجموعة الشعرية لتراتيل وكتاب بين السياح وبريفير

قراءات

البريكان الصامت الأزلي حتى قبره لغز وقراءة في نص أمكنتي وعطري لعالية طالب والأثر البابلي في التراث الأوربي

أضواء

(الزمان) تقدم إضاءة لهرجان النخيلة الأول وطموح بالاستمرار ورسالة من بغداد وأخرى من الدومنيكان

فنون

وجهة نظر من منجز حامد فاضل.. بلدة في علبة

رواية من مجموعة قصص قصيرة



نجم الجابري

السماوة

المعماري ونستفيد من أنماط الحكى والكتابات القديمة وأصوات الذاكرة والأحداث — والتاريخ و الأماي في الصورة. بطل الرواة: (الناصح) الذي جعل النصيحة سداة حكاياته، والغبياث الذي يغيب حمتها، والشيخ النوري الذي خلع على السماوة حلّة زاهية ملونة بمختلف الوقائع والأخبار عبر مراحل التاريخ، عارفا بتاريخ العراق، منقبا فيه بعمق فهو أحد الساردین الأساسيين الى جانب الجد والأب والجد والأبن، والشيخ شير علي.

يشكل التاريخ المرجعية الأولى للرواية وجزءها الأصل، إلا أن الكاتب لا يعتمد تسلسلا تاريخيا أو حقائق تاريخية، فهذه ليست مهمته إنما هي مهمة المؤرخ، بينما هو فنان يعتمد فن الرواية الذي يبني من تاريخ المدينة، معمارها الفني، وهذا يقتضي أن يكون على معرفة جيدة وتماش بالناس ومراقبة ودراسة وجودهم الاجتماعي، فافصح عن مهارة ممتازة في الرصد والتقصي بصدق ووعي. لذا حفلت الرواية بأحداث وأسماء شخصيات أسهمت بتحديد ملامح المكان عبر مراحل زمنية متعددة، وأقول بهذا الصددان حامدا أعاد الى شخصيا طراوة الأمتداد والترافقة لبلدنا لتحتل خلفية تضيء وتستضيء أشعار غنائية، شعر شعبي، أغان، أهازيج وقصائد، مقالة تدرج في المحكي والمدرسون وأحياء الشرقي والغربي وطغوس عاشوراء، أم موسى المرأة المناضلة، قطار الموت، وماترة ساقفة عبد عباس المجرى، وأبناء المدينة في إغاث السجاء حينما حشروا في توابيت من الحديد في لهيب تموز عام 63.

يفتح النص على أسواق وشوارع ومقاهي السماوة وأنماط من الشخصيات، الضرفاء والسكارى والباعة ورجال إدارة وباعة وتجار، بأسلوب مشوق، يكون لنهر الفرات فيه حضور متميز، بلغة شعرية صافية بأذعة الجمال، ليدل على هوية المدينة الخاصة. الروائي ينجح هنا في تقديم رؤية مجتمع متسجمة مع تركيبة أبنائه وأختلاف أفكارهم، ببراء المعلومة ومفردات الروائي، وقدرته على التشكيل الحكائي والخياي، بلغة سرية سهلة لا تحتمل التأويل، تقوم على ما يمتلكه من حسن انساني رفيع، مستثمرا الامتداد التاريخي لمدينته، تدع القارئ في حالة بقطعة، مشهودا لملاحم الزمن الماضي والآتي باتجاه تعميم الصورة لديه.

من النقاد من يرى، ان الرواية التي تساعد القارئ على طرح الأسئلة وتثير التفكير، هي الرواية الناجحة، والتي تعني بإعادة تشكيل العالم ضمن أشكال وأنساق أكثر انسجاما، ووفق هذا الرأي تتساعل كذلك هل ان حامد فاضل أخضع هذا النص الى قواعد النص السردي التي تخلق تنوعها داخل العمل وتحقق جماليته، هل خلقت الرواية تنميطاتها ضمن هذه القواعد؟ وبصيغة أخرى للسؤال، هل نسج الكاتب نصا روائيا كجنس أدبي متميز في تكوينه وبشكله لاجتواء المضمون؟ بلغة تتعارض فيها المستويات وتتداخل بما يخلقه من إحساس دائم بالتوتر، نصا تولده لعبة التقنية والأسئلة التي يطرحها على مفهوم السرديات، والعلاقة بين الراوي وما يرويها، أم ان الروائي احتفى بالتاريخ ليقتص عليه من حكايات من عصور غابرة، خفت فيها إشرافه النص سيما في فصول

ثقافة اجتماعية تتغلغل في فكر الروائي وذاكرته لتعمد إلى متنه السردى. ولعل الاستعارة بوصفها مظهر من مظاهر البلاغة العربية التقليدية بعيدة عن لغة السررد بسبب شعريتها العالمية، وجنوح نصوصها نحو الإنزياح إلا أن الراوي يلج في استحضارها رغبة منه في إضفاء أجواء حلمية على سرد متفكك من عقال التحضر نحو تخيلات بيئية غير أبهة بالتحديد المنطقي، يقول الراوي في بعض سرده «الشمهت نيران الكواكب عباة الليل، وأتلقت للسماز فوائس انزياح الدلالة نحو سهوات الليل، لسان يرث لسانا، وحكاية تلد حكاية، والبلدة تتناسل في مخيلة الحكاين» لقد جعل الليل الأولي وكيانها، تناص لواقعة «المارد في حكاية» على بابا الصمصاء، ولئيل سهوات تشبه سهوات الخيل، والحكايات عنده تلد كما النساء، والبلدة تتناسل، والاستعارة تشق المعنى للوصول إلى معنى الغنى الذي يحصل عادة عن طريق انزياح الدلالة نحو جمالية الانزياح النصي، والتدقيق المراقف للتخييل، ليسهم في تقديم متعة أدبية مقرونة بالأهاس والجمال وشعرية التشكيل المراقف للأصل. وتحضر الصحراء بمخيلها الجماعي في الرواية «جمحت بهمهاز صورة الوركاء ذاكرتي، فتركتها لنخب في أثر لم يمحه الدهر، بحوافر الخيول تحفر دروبها لتداهم الزمن المخبوء في علبة ويقول: «أوشكت أن أنزع فكرة الرؤيا من رأسي لولا اللبلة الفاتحة لبلبة جمعت صهد الصيف وزمهرير الشتاء وزرعتهما في جسدي» ويتجنح جدي يفتل شأبه المستباح بخيل الشيب» «أي يد خفية كانت تدفعني نحو هدياتها الذي يلقي بدلائه في بحر الخوف» «وأنا في الغرفة مثل صبا كامن لغض الظبا، أمتي الذاكرة باصطيان ذلك اليوم الذي شغف فيه أبي بترحات عروس البادية». «وتشبتت بحبل سؤال الشيخ المباعث لأخرج من بشر الذاكرة».

ويجد المتلقي وهو يديم الصلة مع الرواية مقتضيات السرد الصحراوي وقد نهضت بها نصوص كثيرة: «لم أكن أدري فيه اني أقق قدام زير حكايات، واحتجت لمساء آخر لاكتشف ان الطارمة التي اعدها جدي كضيف هي خيمة حكايات ماهولة بمخلوقات الخيال الساحر؟ «فزير حكايات وخيمتها من علامات الحكى الصحراوي، و«وخيمة جدي خيمة ساحر يخفي في كمة ألف حكاية وحكاية، وكان خرج مخيلته مترع بالحكايات» و«يهرق زير حكايات رأسه، ويغمر غيث الحكى ... كنت مشهودا بحبل انهار، ودلو اندهاش الى بشر جدي الذي ينز بماء قراح» ««كان نهر حكايات يسير الهونا يرسي ما حملته من لغى فتركد في قاع ذاكرتي» ««ولم تلح حكايات في خيمة جدي كانت حكايات الحاج ذباب» ««فتمترست خيمة حكايات خلف درفتها خشية أن تدهمها خيول المطر؟ ««و» تركني بالنعص من مستواه الكلي المنفتح على أصول السرد الصحراوي الشفاهي.

تري ما سر حضور الثقافة الصحراوية في لغة رواية تدور أحداثها في مدينة عراقية تتمتع بمزايا المدن الأخرى؟ لا شك أن ذلك يرد إلى سببين: الأول يتعلق بالمؤلف نفسه سواء فضاء الصحراء الذي تعتقت ذاكرته بثقافتها وبما تزل فهو ابن الصحراء بوصفها مكانا متعينا في المنطقة الفاصلة بين العراق والسعودية، وقد لفت النظر إلى حين مكاني كان وما يزال يشغل

الذاكرة البقطة بما فيها من أثر، وتحولات حضارية بطلها الإنسان، والطبعة القاسية، والأخر أن مدينة السماوة «تقع على طرف البادية العراقية المتاخمة للبادية فهي من مدن الصحراء التي حافظت على ثقافتها عبر التاريخ.

من مجمل ما مضى يتراءى لنا أن اللغة السردية في مستواها الثقافي الصحراوي هي جزء من مقام المنتج الذي يحيل على حقيقة أن لا ثبات في اللغة الروائية التي تنزاح أبدا نحو جمالية التذوق الدلالي، والشكلي بسبب تعدد الأصوات فيها.

فالكاتب في مقدمته يؤكد جنس روايته السردية على أنها «رواية عن السردية في الصور الفوتوغرافية» متعة أدبية مقرونة بالأهاس والجمال وشعرية التشكيل المراقف للأصل. وتحضر الصحراء بمخيلها الجماعي في الرواية «جمحت بهمهاز صورة الوركاء ذاكرتي، فتركتها لنخب في أثر لم يمحه الدهر، بحوافر الخيول تحفر دروبها لتداهم الزمن المخبوء في علبة ويقول: «أوشكت أن أنزع فكرة الرؤيا من رأسي لولا اللبلة الفاتحة لبلبة جمعت صهد الصيف وزمهرير الشتاء وزرعتهما في جسدي» ويتجنح جدي يفتل شأبه المستباح بخيل الشيب» «أي يد خفية كانت تدفعني نحو هدياتها الذي يلقي بدلائه في بحر الخوف» «وأنا في الغرفة مثل صبا كامن لغض الظبا، أمتي الذاكرة باصطيان ذلك اليوم الذي شغف فيه أبي بترحات عروس البادية». «وتشبتت بحبل سؤال الشيخ المباعث لأخرج من بشر الذاكرة».

ويجد المتلقي وهو يديم الصلة مع الرواية مقتضيات السرد الصحراوي وقد نهضت بها نصوص كثيرة: «لم أكن أدري فيه اني أقق قدام زير حكايات، واحتجت لمساء آخر لاكتشف ان الطارمة التي اعدها جدي كضيف هي خيمة حكايات ماهولة بمخلوقات الخيال الساحر؟ «فزير حكايات وخيمتها من علامات الحكى الصحراوي، و«وخيمة جدي خيمة ساحر يخفي في كمة ألف حكاية وحكاية، وكان خرج مخيلته مترع بالحكايات» و«يهرق زير حكايات رأسه، ويغمر غيث الحكى ... كنت مشهودا بحبل انهار، ودلو اندهاش الى بشر جدي الذي ينز بماء قراح» ««كان نهر حكايات يسير الهونا يرسي ما حملته من لغى فتركد في قاع ذاكرتي» ««ولم تلح حكايات في خيمة جدي كانت حكايات الحاج ذباب» ««فتمترست خيمة حكايات خلف درفتها خشية أن تدهمها خيول المطر؟ ««و» تركني بالنعص من مستواه الكلي المنفتح على أصول السرد الصحراوي الشفاهي.

الذاكرة البقطة بما فيها من أثر، وتحولات حضارية بطلها الإنسان، والطبعة القاسية، والأخر أن مدينة السماوة «تقع على طرف البادية العراقية المتاخمة للبادية فهي من مدن الصحراء التي حافظت على ثقافتها عبر التاريخ.

من مجمل ما مضى يتراءى لنا أن اللغة السردية في مستواها الثقافي الصحراوي هي جزء من مقام المنتج الذي يحيل على حقيقة أن لا ثبات في اللغة الروائية التي تنزاح أبدا نحو جمالية التذوق الدلالي، والشكلي بسبب تعدد الأصوات فيها.

فالكاتب في مقدمته يؤكد جنس روايته السردية على أنها «رواية عن السردية في الصور الفوتوغرافية» متعة أدبية مقرونة بالأهاس والجمال وشعرية التشكيل المراقف للأصل. وتحضر الصحراء بمخيلها الجماعي في الرواية «جمحت بهمهاز صورة الوركاء ذاكرتي، فتركتها لنخب في أثر لم يمحه الدهر، بحوافر الخيول تحفر دروبها لتداهم الزمن المخبوء في علبة ويقول: «أوشكت أن أنزع فكرة الرؤيا من رأسي لولا اللبلة الفاتحة لبلبة جمعت صهد الصيف وزمهرير الشتاء وزرعتهما في جسدي» ويتجنح جدي يفتل شأبه المستباح بخيل الشيب» «أي يد خفية كانت تدفعني نحو هدياتها الذي يلقي بدلائه في بحر الخوف» «وأنا في الغرفة مثل صبا كامن لغض الظبا، أمتي الذاكرة باصطيان ذلك اليوم الذي شغف فيه أبي بترحات عروس البادية». «وتشبتت بحبل سؤال الشيخ المباعث لأخرج من بشر الذاكرة».

ويجد المتلقي وهو يديم الصلة مع الرواية مقتضيات السرد الصحراوي وقد نهضت بها نصوص كثيرة: «لم أكن أدري فيه اني أقق قدام زير حكايات، واحتجت لمساء آخر لاكتشف ان الطارمة التي اعدها جدي كضيف هي خيمة حكايات ماهولة بمخلوقات الخيال الساحر؟ «فزير حكايات وخيمتها من علامات الحكى الصحراوي، و«وخيمة جدي خيمة ساحر يخفي في كمة ألف حكاية وحكاية، وكان خرج مخيلته مترع بالحكايات» و«يهرق زير حكايات رأسه، ويغمر غيث الحكى ... كنت مشهودا بحبل انهار، ودلو اندهاش الى بشر جدي الذي ينز بماء قراح» ««كان نهر حكايات يسير الهونا يرسي ما حملته من لغى فتركد في قاع ذاكرتي» ««ولم تلح حكايات في خيمة جدي كانت حكايات الحاج ذباب» ««فتمترست خيمة حكايات خلف درفتها خشية أن تدهمها خيول المطر؟ ««و» تركني بالنعص من مستواه الكلي المنفتح على أصول السرد الصحراوي الشفاهي.

في بعض الهفوات التاريخية، التي أتوقعتها غير مقصودة، وجاءت ضمن السياق العام لما اختزنته ذاكرته وقراءاته من مصادر تاريخية، غير خاضعة في أغلب الاوقات لإلتفاق. كما حدث في فصلين مهمين هما: لكن هذه الهفوات والمغالطات التاريخية، لم تصب النص السردي في صدقيته، وثرائه الحكائي، كنص شفاهي متميز. شاهد على قدرة الكاتب حامد فاضل على الخوض في أعماق التاريخ البشري من المراكز الحضارية للعراق، في فقرات مهمة من تاريخه الحضاري. قدمه بجزالة لغوية، وتمكن أسلوبه، نجح في توزيع أدواره الحكاكية، بين السنة شفاهية، يصعب التمييز فيها بين الافتراضي والحقيقي، رواية «بلدة في علبة» نص سردي يستحق القراءة وبذل الإهتمام من النقاد، كونه يؤشر على بداية منهجية جديدة لأدب السردى الشفاهي في العراق.

الخلاصة إن المنجز عمل إبداعي كبير وكتب بلغة شعرية جميلة - أهمل الراوي المجتمع الريفي التي تشكلت منه مدينة السماوة ولم يشير له من قريب أو بعيد في إحدات (روايته) - سلط الضوء على حركة سياسية واحدة وأهمل تاريخ الحركات السياسية المعارضة في حينها؟ - جعل من الكاميرا أو الصندوق السارد -في العمل وهذا يكون خلاف البناء الروائي حيث من المعروف ان الراوي يكون إما الكاتب هو الراوي الرئيس فيها أو يتولى المؤلف الإتيابة عنه وإحداث وان كانت مختلفة لكنها تدور حول بطل الرواية وهذا ما غاب عنه بلدة في علبة من تعبير مجموعة قصص حول مكان واحد.

- لم يظهر الروائي المعادل الموضوعي للحدث مثل ذلك ثورة 1920م المتفردة بنوار المحافظة كلها

- كما لاحظت ان من الناقد حميد الخنز على من يرى إن واقع وطبيعة الإصطفاط الطبقي غائمة في عموم المتن الروائي ترى ما سر حضور الثقافة الصحراوية في لغة روايته تدور أحداثها في مدينة تتمتع بمزايا المدن الأخرى

بلدة في علبة نص سردي شفاهي قدم الكاتب فيه مدينته التي تنوسد الصحراء وتحتئ على ضفاف الفرات تحتاج إلى قراءات عديدة بعيدا عن العاطفة و المحاباة لفق شفرات هذا المنجز الإبداعي وان اختلف من اختلف معه.



غلاف الرواية